٨

حوار مع عادل المعلم

من خلال الإنترنت فى سبتمبر ٢٠٠٢

سؤال : نعانى فى الشرق الأوسط من سيطرة الحكومات على وسائل الإعلام، التى هى فى الواقع مؤسسات حكومية، ولكن تبين أنكم فى الولايات المتحدة تعانون أيضا من الإعلام الحر، أو مما قد نسميه التيار الرئيسى للإعلام الحر، مع فارق أن ذلك التيار الرئيسى للإعلام الحر، أكثر فعالية وتشكيلا للمتلقين من الإعلام الحكومى المتهافت. فما تعليقك؟

تشومسكى: من الصعوبة بمكان التعميم فى مقارنة الإعلام الذى تسيطر عليه الحكومات بالإعلام الذى تسيطر عليه المؤسسات [تجارية ـ صناعية ـ سياسية] فذلك يعتمد ـ لحد كبير ـ على المجتمع، ومستوى الحرية الذى اكتسبه، تقليديّا بعد صراع شعبى طويل ومرير. ويمكننا التفكير فى الـ **B . B . C** كمثل لإعلام تسيطر عليه الحكومة، ولكنه ـ فى رأيى ـ أفضل بكثير من أى إعلام فى الولايات المتحدة، ويمكن القول بما يشبه ذلك عن الإعلام الحكومى فى الدول التى حصلت شعوبها على مستويات عالية من الحرية.

وطبقًا لبعض المعايير، مثّل القرن التاسع عشر أعظم فترات حرية الإعلام فى إنجلترا والولايات المتحدة، وذلك قبل تأثير كل من تركيز رأس المال، والتمويل الإعلاني، والذى طرد الإعلام المستقل ـ الرفيع المستوى والذى يتمتع بشعبية كبيرة ـ والذى لا يستطيع أن ينافس تحت تلك الظروف.

أما فيما يخص «تشكيل المتلقين» فمن المهم معرفة أن الشخصيات القائدة فى

مجال الإعلام تنظر لذلك على أنه «الدور الحاسم» للإعلام. وكما قد تعلم، فإنى اشتركت فى تأليف كتاب «صناعة الموافقة»، ولكننا لم نخترع المصطلح، بل استعرناه من والترليبمان، الذى قد يكون أبرز شخصية إعلامية، وأكثرها احترامًا، وثقافة، فى أمريكا القرن العشرين.

وهو لم يكن فقط يصف الظاهرة، ولكنه يروج بها، كواحدة من أساسيات الديمقراطية التى يراها: بما يعنى حكم الصفوة مع اختزال الجمهور إلى دور المشاهد، باستثناء اختيار من آن لآخر بواسطة «الرجال ذوى المسئولية» فيما يسمى «الانتخابات».

ومع هذا، فالإعلام الذى تسيطر عليه الحكومات فى مجتمعات ذات حريات قليلة، هو بصفة عامة إعلام شرير.

سؤال: إذًا فما هى فرص وصول الحقيقة للجمهور؟ وكيف يمكن زيادة تلك الفرص؟

تشومسكى: بنفس الطريقة التى حصلت بها الشعوب على حرياتها، يمكن زيادة فرص معرفة الحقيقة، وبدون صراع طويل يتخلله هزائم وانتصارات، لا توجد مفاتيح سحرية لذلك... هناك فقط الإخلاص فى الصراع: التعليم، التنظيم، الفعل.. طبقًا للملابسات والظروف.

سؤال: تكلمت فى كتابك ٩/ ١١ عن «ثقافة الإرهاب المتغلغلة فى أعماق الغرب»، وعن «طبيعة الحضارة الغربية»، فهل يمكنك القاء مزيد من الضوء على ذلك؟

تشومسكى: طبيعة الحضارة الغربية تحتاج مؤلفات. أما الطبيعة الإرهابية المتعمقة فى تلك الحضارة، فقد تناولتها عدة كتب، منها ما ذكرته فى خطابك لى [ماذا يريد العم سام؟ ـ المصير المشئوم ـ ٩ / ١١]، وغيرها مثل: ثقافة الإرهاب. يمكننى سرد قائمة طويلة بالكتب والمقالات، لى ولغيري، التى وثّقت الإرهاب الغربي، وحتى اللحظة الحالية، ومن قديم التاريخ.

واكتفاءاً بمثال واحد، الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى أدانتها محكمة العدل الدولية بتهمة «الاستخدام غير القانونى للقوة»، ويعنى ذلك: الإرهاب الدولي. كذلك أمرت المحكمة بأن تكف الولايات المتحدة عن ذلك. واستخدمت الولايات المتحدة «الڤيتو» لمنع مجلس الأمن من استصدار قرار يدعو جميع الدول - والمقصود هو الولايات المتحدة - لاحترام القانون الدولي، طبقا لما حكمت به محكمة العدل الدولية!

لقد مرت ٤٠ سنة منذ أمر چون كنيدى بإطلاق «كل قوى الإرهاب على الأرض - Terrors of The Earth» ضد كوبا، لعقابها على تحديها الناجح للولايات المتحدة، المتمثل فى عدم إطاعتها للأوامر.

الأمثلة أكثر من أن تعد وتحصى، ولا تنفرد بها الولايات المتحدة عن بقية الغرب.

سؤال: بعد كل الجرائم التى ارتكبتها إسرائل فى الأراضى المحتلة، هل تغير الرأى العام الأمريكي؟ وإذا لم يكن تغير، فكيف يمكننا أن نفهم هذا فى الشرق الأوسط؟ وإذا كان الرأى العام تغير، فهل لذلك أى تأثير على السياسة الخارجية لأمريكا فى الشرق الأوسط؟

تشومسكى: تؤيد غالبية الشعب الأمريكى ما يسمى «الخطة السعودية»، وتعتقد أن على الولايات المتحدة أن تزيد من التزامها بتقدم «عملية السلام»، ولكن ليس للجمهور وسيلة لمعرفة التناقض فى ذلك. الخطة السعودية هى تعبير مكرر لما اتفق عليه المجتمع الدولى من تسوية «الدولتان» [دولة إسرائيل ودولة فلسطين]، ذلك الاتفاق الدولى الذى تمنعه الولايات المتحدة من جانب واحد! ولكن لا يستطيع الناس فى الولايات المتحدة معرفة تلك التفاصيل، إلا إذا تناولوا الإعلام المعارض، صحافة أو كتب، والتى لا تظهر فى التيار الرئيسى للإعلام لأنها توغلت بعيداً عن المسار الضيق الذى اتفقت عليه الصفوة.

أغلبية الشعب أيدت - وباستمرار - الاتفاق الدولى، ولكن لم تعلم أن حكومتها هى العائق الرئيسى أمام تحقيقه! نفس الأمر بالنسبة للجرائم فى الأراضى المحتلة، ليس فقط الآن، بل ومنذ عقود. الولايات المتحدة تؤيدها، فهى إذاً ليست جرائم،

وإنما ـ كما تصورها مرشحات التيار الرئيسى للإعلام ـ دفاع عن النفس! وليست إسرائيل هى المستفيد الوحيد من أمثال تلك الممارسات، فاليوم ـ ١٣ سبتمبر ٢٠٠٢ ـ وعلى سبيل المثال، أعلنت وزارة الخارجية تأييدها القوى لإرهاب الدولة الذى تمارسه الصين ضد الأوجور (وسمته الدفاع ضد إرهاب الأوجور) فى وثيقة تنضح بالأكاذيب، حتى أن النيويورك تايمز ـ المطاوعة فى العادة ـ أبدت تحفظاتها.

السجل طويل، ومتوافق، وبالطبع ليس فقط فى الولايات المتحدة [داخل العالم الغربى].

سؤال: معظم شعوب الشرق الأوسط ترفض وتستنكر السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى المنطقة بسبب تحيزها لإسرائيل، وبسبب تأييدها لحكومات تسلطية فى المنطقة. هل تعرف واشنطون ذلك؟ وهل تحاول معالجته؟ أم أنها تقصد ذلك؟ أو أنها لا تأبه لمشاعر الشعوب؟

تشومسكى: بالطبع واشنطون تعرف ذلك، ويرجع هذا قديما حتى قبل أن يصبح تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل قضية رئيسية.

فعلى سبيل المثال، فى عام ١٩٥٨، ناقش ـ سريّا ـ الرئيس أيزنهاور مع مستشاريه «حملة الكراهية ضدنا» فى العالم العربي، ليس من الحكومات، ولكن من الشعوب. وأفاده مجلس الأمن القومى بالأسباب: معرفة الشعوب أن الولايات المتحدة تؤيد الأنظمة المستبدة الفاسدة، القاسية، وتعيق الديمقراطية وتعيق التنمية، لحرصها على السيطرة على مصادر البترول فى المنطقة.

استمر ذلك حتى اليوم، مع الغضب من بعض السياسات الأمريكية الخارجية، مثل ما يخص إسرائيل وفلسطين.

الحقائق معروفة (ولكن ثانيّا، ليس للعامة). والأسباب أيضا معروفة.

ولكن مشاعر شعوب الشرق الأوسط، فما هى إلا عامل ثانوى فى الاختيارات السياسية، وأيضا مجددا، ليست الولايات المتحدة استثناء [من العالم الغربي] فى ذلك الخصوص.